



مجلة

اللسانيات و تحليل الخطاب

مجلة علمية محكمة تصدر كل أربعة أشهر

بني ملال - المملكة المغربية



العدد

2

شتنبر 2015 / ذوالقعدة 1436

مجلة اللسانيات وتحليل الخطاب

مجلة علمية محكمة تصدر كل أربعة أشهر
بني ملال، المملكة المغربية

الهيئة الإدارية

المدير المسؤول :

د. محمد إسماعيلي علوي

نائب المدير :

د. الحبيب مغراوي

رئيس التحرير :

د. مولاي علي سليمان

نائب رئيس التحرير

د. يوسف ادروا

آليات الاستدلال على المعاني الضمنية في اللغة العربية

د. حسن بدوح

جامعة الحسن الأول، مختبر البحث
في اللغة والأدب والبيئة
2600 سطات - المغرب

ملخص البحث بالعربية :

يتمحور الحديث في هذا البحث، حول المعاني الضمنية (أو الأفعال الإنجازية غير المباشرة...) في اللغة العربية وآليات الاستدلال عليها. ويتوقف تحقيق المتكلم للفعل الإنجازي غير المباشر، وإدراك المخاطب له، على مراعاة الاصطلاحات اللسانية بما فيها من أصوات وصرف وتركيب ودلالة. وكذا مراعاة الحقل الخلفي من المعارف والمفترضات (les assumptions) ثم الاستعانة بعد ذلك، بعوامل غير لسانية مثل المقام وحالات الاعتقاد المفترضة. كما أن الوصول إلى المعنى الضمني يقتضي من المخاطب القيام بعمليات استدلالية إلى جانب العمليات التفكيكية ؛ حيث تصبح البنية اللسانية للملفوظ مجرد معبر أو يمر يتم المرور منه للوصول إلى المعنى الضمني عامة أو الفعل الإنجازي غير المباشر بخاصة.

3- أهداف البحث :

يسعى هذا البحث إلى دراسة المعنى الضمني في اللغة العربية باعتباره خاصية مميزة للخطاب اللغوي الطبيعي بشكل عام واللغة العربية بشكل خاص، ومبدأ ملازما للذات المتكلمة العربية. ويشهد الواقع اليومي أن تواصلنا غالبا ما يتم بطريقة غير مباشرة. ولذلك سنحاول التعريف بالمعنى المضمن (أو المضمّر...)، والتعرف على مسارات استنباطه، مع محاولة وصفها ولو بصورة تقريبية.

4- منهجية البحث :

يحصّر البحث نفسه في إطار النظرية التداولية (La théorie pragmatique)، التي استطاعت أن تتجاوز حدود التركيب (La syntaxe) الذي جعل معيار الحكم على الجمل من حيث سلامة تكوينها، هو مدى امتلاكها للشرط النحوية (La grammaticalité). كما استطاعت أن تتجاوز حدود علم الدلالة (La Sémantique) الذي حصّر موضوعه في دراسة العلاقات التمثيلية القائمة بين العبارات الصحيحة نحويًا والأشياء التي تمثلها. أما التداولية فقد وجهت بحثها إلى دراسة العلاقات التي تنشأ - أثناء الكلام - بين العبارات ومستعملها، بعد أن تكون تلك العبارات قد استوفت شروط الصحة النحوية والمقبولية الدلالية. ومعنى هذا أن التداولية تتعامل مع اللغة على مستوى أكثر ملموسية من التركيب والدلالة، ومن هنا فنحن لا نستطيع حقيقة فهم طبيعة اللغة ذاتها إلا إذا فهمنا التداولية : كيف نستعمل اللغة في التواصل ؟

وقد زواج البحث بين الجانب النظري والتطبيقي ؛ حيث حاولت تلمس بعض ظواهر المعاني الضمنية من خلال أمثلة منتقاة من اللغة العربية، وبينت كيف يتم اشتقاق أو استنتاج المعنى الضمني عبر وسائل الاستدلال .

5- فرضيات البحث وإشكالياته :

ينطلق البحث من فرضية مفادها أن الأصل في صياغة المعنى هي الصياغة غير المباشرة، أي : التضمين بدل التصريح. ويتجلى ذلك على مستوى الممارسة والتداول اللغوي اليومي، وإن كان يبدو نظريًا أن الأصل هو التصريح. ويدعم هذه الفرضية واقع التواصل في الحياة اليومية ؛ فمستعمل اللغة العادية (الطبيعية) غالبًا ما يخرج بملفوظاته عن دلالتها الحرفية المباشرة للدلالة على معاني ضمنية تكون هي المقصودة لديه في غالب الأحيان.

وتأسس هذه الفرضية على التساؤلات التالية :

- كيف يتولد المعنى الضمني ؟
- كيف يتم الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى الضمني ؟
- ما طبيعة الآلية الاستدلالية التي تمكننا من الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى الضمني ؟
- لماذا يختار المتكلم طريق التضمين بدل التصريح ؟
- كيف يمكننا إبلاغ معنى غير الذي يدل عليه منطوق الخطاب ؟

- ما هي أنواع التضمينات، وما معايير التمييز بينها ؟
 - هل يمكن الاقتصار على المعنى الحرفي لفهم خطاب ما ؟

1- آليات الاستدلال على المعاني الضمنية

ينطلق المتكلم أثناء إنجازه للخطاب (le discours)، والمخاطب في فهمه، من فرضية مفادها أن كل منهما قد تحققت لديه الكفاية التواصلية (La compétence communicative) التي تساعد على اكتساب اللغة، والتفاعل بها، وتأويل (interprétation) الخطاب سواء في شكله الصريح أم الضمني.

وتتفرع الكفاية التواصلية إلى مجموعة من الكفايات الفرعية هي : الكفاية اللسانية (La compétence linguistique)، والكفاية المنطقية (La compétence logique)، والكفاية الموسوعية (La compétence encyclopédique)، والكفاية البلاغية-التداولية (La compétence rhétorico-pragmatique) والكفاية التخيلية أو الشعرية (La compétence poétique)⁽¹⁾. وتبقى قائمة هذه الكفايات مفتوحة؛ إذ يمكن إضافة كفايات أخرى متى كان ذلك وارداً.

إن الحذف والذكر (التصريح والتضمين...) ظاهرتان تستلزمهما دواع بلاغية ومقتضيات مقامية⁽²⁾. ولا يلجأ المتكلم إلى التضمين إلا إذا اعتقد بأن مخاطبه عالم بالمعنى الضمني، أو له إمكانية استدلالية تمكنه من الوصول إليه، ما لم يكن غرض المتكلم هو مغالطة المخاطب، بحيث يفهم ما لم يقصده. يقول «موشلر» (J. Moeschler) : «يتوقف نجاح التواصل اللفظي (verbale) على الطابع القصدي (intentionnel) للرسالة، وعلى الاستدلالات التي يقوم بها المخاطب؛ حيث يقوم هذا الأخير بمجموعة من الاستدلالات غير البرهانية (non démonstratives)، اعتماداً على المبادئ العامة للتواصل. والنتيجة المحصل عليها من خلال هذه الاستدلالات، هي نجاح العملية التواصلية وموافقته لمقاصد المتكلم»⁽³⁾. والاستدلال كما تقول «أريكيوني» (C. K. Orecchioni) هو عملية قد تطلق على كل قضية مضمرة (proposition implicite)، نستطيع استخراجها من ملفوظ ما، واستنباطها (déduire) من محتواه الحرفي (contenu littéral)، ونحن ننسق معلومات الوضع المتغير (statut variable)⁽⁴⁾.

(1) حسن بدوح (2012) : المحاور مقارنة تداولية. ط 1، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن ص ص : 121-135.

(2) محمد زايد، حسن بدوح، عبد العزيز الملوكي (2012) : مقالات في اللغة والنقد الأدبي قضايا في التركيب. ج 3.

ط 1. مطبعة سجلماسة، الزيتون، مكناس. ص : 25.

(3) J. Moeschler (1999) : Linguistique et pragmatique cognitive. L'exemple de la référence temporelle. Le Gré des Langues 15 .p : 5.

(4) C. K. Orecchioni (1986) : L'implicite. Armand coolin. P : 24.

حظيت إشكالية المعنى بنصيب كبير من الاهتمام في الفكرين العربي والغربي ؛ وقد كان «السكاكي» في «مفتاح العلوم»، وعبد القاهر الجرجاني في «دلائل الإعجاز» من بين المهتمين بالمعنى الضمني (معنى المعنى)، الذي يتطلب التعرف عليه مراعاة «مقتضى الحال» وتطبيق عدد من العمليات الاستدلالية العقلية التي أكد «السكاكي» على أهميتها وخاصة عند دراسته للكناية. ومثالها المشهور هو :

[1] - فلان كثير رماد القدر

تقال هذه الكناية في مقام المدح، في حق رجل مضياف للإشارة إلى كرمه وجوده. إلا أن عملية الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المضمن تقتضي القيام بمجموعة من العمليات الاستدلالية على الشكل الآتي :

- 1- كثرة الرماد تستلزم كثرة الجمر ؛
- 2- كثرة الجمر تستلزم كثرة إحراق الحطب ؛
- 3- كثرة إحراق الحطب تحت القدر تستلزم كثرة الطعام ؛
- 4- كثرة الطعام تستلزم كثرة الأكلة ؛
- 5- كثرة الأكلة تستلزم كثرة الضيوف ؛
- 6- كثرة الضيوف تستلزم أن هذا الرجل كريم ومضياف⁽⁵⁾.

ومادام أن الملفوظات تحمل في ثناياها المعاني الصريحة والضمنية، فإن وظائفها وطرق استعمالها تتعدد تبعاً لذلك. يقول «أوستين» (J. Austin) في هذا الصدد : «إن للملفوظ وظائف متعددة، كما أن طرق استعمالنا له متعددة أيضاً، وبتعبير آخر فإن الفعل (l'acte) يتنوع تبعاً للطريقة والمعنى اللذين نستعمله فيهما عند كل مناسبة. إن الاختلاف ملحوظ بين النصح ومجرد الاقتراح أو الأمر»⁽⁶⁾. وقد تم تناول طبيعة الآلية الاستدلالية عند الغربيين من قبل ثلاث نظريات هي :

- 1- نظرية المبادئ الحوارية لـ «غرايس» (P. Grice)
- 2- نظرية الأفعال اللغوية غير المباشرة لـ «سورل» (J. searle)
- 3- نظرية الاشتقاق الإنجازي لـ «أنسكومبر» (Anscombe)

(5) Ahmed Moutaoukil (1982) : Réflexions sur la théorie de la signification dans la pensée linguistique arabe. Publication de la faculté des lettres de Rebat. P.P : 190-191.

(6) J. L Austin : Quand dire, c'est faire. Traduction et introduction de Gilles lane. (1970). Editions de seuil. Paris. P.P 112-113.

وقد أكدت هذه النظريات على أهمية المبادئ الحوارية (les maximes conversationnelle) أو الضوابط (les normes)، أو القواعد (les règles)، أو القيود (les contraintes) في حل إشكالية التضمنين في الاستعمال اللغوي.

عمل «غرايس»، في نظريته التي بناها على أساس القصد، على وضع مجموعة من المبادئ العقلانية التي تسهل عملية التواصل. وكان هدفه من ذلك هو :

1- توضيح كيفية اشتغال آليات التأويل التي تجعل المؤول ينتقل من المعنى الحرفي إلى المعنى المضمن في الملفوظ ؛

2- فحص الإطار النفسي - المنطقي الذي يقع فيه التبادل الكلامي⁽⁷⁾.

ويقوم تحليل الملفوظ في تصور «غرايس» على العوامل الآتية :

1. معنى الجملة المتلفظ بها ؛

2. السياق (لساني وخارج لساني) ؛

3. مبدأ التعاون.

يعتبر العاملان الأول والثاني عاملين متغيرين، في حين أن العامل الثالث يعتبر عاملاً ثابتاً لا يمكن الاستغناء عنه. وتتفرع عن هذا المبدأ الأخير مجموعة من المبادئ والقواعد الفرعية، التي تساعد على تحقيق الفعالية القصوى لتبادل المعلومات بين المتخاطبين. وتتجلى المبادئ التي اقترحها زغرايسس فيما يلي :

1- مبدأ التعاون (Maxime de coopération) :

يقول هذا المبدأ : «لتكن مساهمتك في المحاور، بقدر ما يتطلبه الهدف أو الوجهة المختارة للمحاور التي تشارك فيها». وتتفرع عن مبدأ التعاون أربعة مبادئ فرعية، تندرج تحت كل واحدة منها قواعد أكثر تحديداً. وما يترتب عن هذه القواعد من نتائج، يجب أن يكون منسجماً مع مبدأ التعاون. وتندرج هذه المبادئ على الشكل الآتي :

2- مبدأ الكم (Maxime de quantité) :

يفرض على المتكلم أن يوافق، في كلامه، بين كم المعلومات وكم المفردات المستعملة في نقلها إلى المخاطب. وتندرج تحت هذا المبدأ قاعدتان هما :

(7) Francois Flahault (1979) : le fonctionnement de la parole. Remarques a partir des maximes de Grice. In communication N° 30. P : 73.

1. اجعل تدخلك إخباريا بالقدر المطلوب ؛
2. لا تجعل تدخلك الإخباري يتجاوز المطلوب.

3- مبدأ الكيف (Maxime de qualité) :

يفرض على المتكلم أن يكون صادقا في تدخله وتندرج تحت هذا المبدأ بدوره، قاعدتان هما :

1. لا تقل ما تعتقد أنه خاطئ ؛
2. لا تقل ما لا تستطيع إثباته بدليل.

4- مبدأ العلاقة (Maxime de relation) :

يفرض على المتكلم أن يكون كلامه واردا.

5- مبدأ الطريقة (Maxime de modalité) :

ينص على أن يكون تدخل المتكلم صادقا ؛ وتندرج تحت هذا المبدأ قواعد أربع هي : 1- دع الغموض ؛ 2- دع اللبس ؛ 3- تجنب الحشو (أوجز) ؛ 4- كن منظما⁽⁸⁾.

وقد أشار «غرايس» إلى نوع آخر من القواعد الجمالية، والأخلاقية، والاجتماعية، ومثال ذلك القاعدة الأخلاقية : «كن مؤدبا»، التي تحترم بشكل طبيعي في مختلف المبادلات الكلامية بين المتخاطبين.

إن احترام المبادئ السابقة هو بمثابة تعاقد مواز لمجال الخطاب. ويؤدي خرق إحدى تلك المبادئ -باستثناء مبدأ التعاون- إلى توليد ما يسمى عند «غرايس» بالاستلزام الحوارية (implication conversationnelle) أو ما يعبر عنه بـ (implicature conversationnelle).

لنفترض الحوار (2) ضمن المقام الآتي : يطلب أب من ابنه أن ينظف أسنانه بعد تناول العشاء.

[2] أ- الأب : هل قمت بتنظيف أسنانك ؟ (استفهام يراد منه الأمر)

ب- الابن : لا أشعر بالنوم.

نلاحظ هنا أن جواب الابن عبارة عن نفي ضمني لمضمون السؤال، أي أن المعنى الضمني المستلزم من الحوار هو :

(8) H. Paul Grice (1979) : logique et conversation. in communications N° 30. P61.

ج- لم أنظف أسناني بعد.

وتساءل في مثل هذه الحالات : كيف يمكن الوصول إلى هذا المعنى الضمني ؟ ما العلاقة الموجودة بين عدم الشعور بالنوم وتنظيف الأسنان أو عدم تنظيفها ؟ المسألة هنا بعيدة كل البعد عن كونها مجرد عملية تفكيك (décodage) بسيطة لمحتوى الملفوظ ؛ إذ لا وجود لنسق سنني لساني يُمكننا من فهم مثل هذا الملفوظ باعتباره نفيًا لطلب الأب .

يمكن الوصول إلى المعنى المستلزم حواريا بالاعتماد على المبادئ الحوارية لغرايس ؛ لقد خرق الطفل واحدا من تلك المبادئ هو مبدأ «العلاقة» ؛ حيث يلاحظ عدم وجود علاقة بين سؤال الأب وجواب الابن . ورغم ذلك ، فهذا الخرق هو خرق ظاهري فقط ، مادام أن الابن لم يُظهر أنه لا يحترم مبدأ التعاون . وقد خرق مبدأ العلاقة هنا ليظل محترما لمبدأ حوارى آخر هو مبدأ «الكيف» الذي يحث المتكلم على أن يكون صادقا . فلو أجاب الطفل بنعم لكان كاذبا في هذا المثال .

ولذلك ، فللوصول إلى قصدِ الطفل يستدعي الأمر استحضار المقام و التعويل على جملة من المعلومات نحو :

- يحتم الشعور بالنوم الانصراف للنوم .

- جرت العادة أن يتم تنظيف الأسنان قبل النوم .

- يمثل تنظيف الأسنان تمهيدا للنوم ...

يمكن للأب أن يستنبط ، من خلال هذه المعلومات ، أن هذا الطفل الذي يقول : «إن النوم لم يداعب أجفانه بعد» ، لا يرغب في النوم ، وإذن ، فإنه لم ينظف أسنانه بعد .

لقد كان هدف «غرايس» هو إعطاء نظرة عن التواصل المثالي ، و التنبيه إلى مظاهر المعنى التي لا تحكمها قواعد لغوية (دلالية على الخصوص) ، بل تحكمها طريقة إنجاز الملفوظ من داخل السياق ، بمفهومه العام ، وكذا احترام بعض المبادئ العامة للتواصل .

وقد لقيت مبادئ «غرايس» نجاحا كبيرا من قبل عدد من المهتمين ؛ حيث شرحت ونوقشت وانتقدت ؛ فقد اختزلها «ويلسون وسبيربر» (D. Sperber و D. Wilson) في مسلمة واحدة هي مسلمة «الملاءمة» (Axiome de pertinence) وفحواها : «يعمل المتكلم كل ما في وسعه لإنتاج ملفوظ أكثر ملاءمة»⁽⁹⁾ . وانطلاقا من التصور القائل بأن نتائج التضمين تختلف باختلاف مقدماته . ويمكن أن نتبين ذلك من خلال الأمثلة الآتية :

(9) D. Wilson et D. sperber (1979) : Remarques sur l'interprétation des énoncées selon Paul Grice. In communication N° 30. P : 89.

[6] أ. هل تشرب القهوة ؟

ب. لا، لن أشرب القهوة.

ج. لا أتناول المنبهات.

د. أريد النوم باكرا.

حيث إن عملية تأويل هذه الملفوظات لا تقوم على ما هو ملفوظ به فقط، وإنما تقوم أيضا على المعرفة المشتركة (القهوة منبه)، وعلى عملية التلطف (كيفية التلطف). وبخصوص أهمية المعرفة المشتركة يقول «جورج لايكوف ومارك جونسون» (George LAKOFF وMark JOHNSON) : «فعندما لا يشترك الناس الذين يتحاورون نفس الثقافة، ونفس المعرفة، ونفس القيم، ونفس المسلمات، فإن الفهم المتبادل يكون صعبا. إن هذا الفهم يكون ممكنا من خلال التفاوض بشأن المعنى...»⁽¹⁰⁾.

إذن تقوم عملية التأويل على :

1- الملفوظ ؛

2- التلطف ؛

3- المعرفة المشتركة.

وتظل «المعرفة المشتركة» دائمة الحضور، وذلك في مقابل «التلطف» الذي قد يغيب ويحضر «الملفوظ»، أو العكس، أي أن يحضر «الملفوظ» ويغيب التلطف. وتبعاً لذلك تختلف نتائج الاستدلال باختلاف المقدمات :

فاعتبار الملفوظ (3 ج) جواباً عن السؤال (3 أ) يقوم على :

- المتكلم لا يتناول المنبهات [ملفوظ]

- القهوة منبه [معرفة مشتركة].

واعتبار الجواب (3 د) رداً على السؤال (3 أ) يقوم على :

- القهوة تذهب النوم لعدة ساعات [معرفة مشتركة].

ولذلك تختلف النتائج التداولية باختلاف المقدمات الثلاث :

(10) جورج لايكوف ومارك جونسون : الاستعارات التي نحياها. ترجمة. عبد المجيد جحفة. (1996) ط 1. دار توبقال. ص : 216.

1- نتائج تداولية مباشرة، وهي تضمينات مقدمتها :

الملفوظ والمعرفة المشتركة [المثال 3 ج].

2- نتائج تداولية غير مباشرة، وهي تضمينات مقدمتها : التلطف والمعرفة المشتركة [المثال 3 د].

وقد غاب عن غرايس - حسب ويلسون وسبيربر - أمران اثنان، أثناء تحليله، وهما :

1. إن التضمينات الحوارية تنحدر من التلطف، وليس من الملفوظ.

2. المقدمات الإضافية للنتائج التداولية غير المباشرة⁽¹¹⁾.

كما تطرق «سورل» (J. Searle) من جانبه إلى ظاهرة التضمين من خلال دراسته لظاهرة تعدد القوى الإنجازية التي قد يحتملها الملفوظ الواحد ؛ حيث ميز بين غطين من الأفعال الإنجازية هما : الأفعال الإنجازية المباشرة والأفعال الإنجازية غير المباشرة. فالمتكلم، حسب «سورل»، يمتلك إمكانات متعددة للتعبير عن مقاصده حدها في ثلاث هي :

1. أن يتلفظ المتكلم بجملة وهو يقصد ما تعنيه بشكل فعلي وحرفي.

2. أن يتلفظ المتكلم بجملة وهو يعني ما يقوله إضافة إلى أشياء أخرى، ومثاله أن يقول ابن لأبيه :

[4]. أريدك أن تفعل ذلك.

يحمل هذا الملفوظ دلالتين: الأولى صريحة، وتتمثل في إثبات إرادة (الأمر) وهي غير مقصودة وذلك بموجب علاقة الأبوة بين الابن وأبيه، ويحدّد هذه الدلالة الحرفية المحتوى القضوي للجملة وقوتها الإنجازية الحرفية. أما الدلالة الثانية فضمنية، وتتجلى في الالتماس وهي الدلالة المقصودة.

3. أن يتلفظ المتكلم بجملة وهو يقصد ما يقوله، ولكنه يقصد أيضا معنى آخر له محتوى قضوي مختلف تماما، نحو :

[5]. هل يمكنك أن تناولني الملح ؟

يحمل هذا الملفوظ دلالتين : الدلالة الصريحة ويشكلها محتواها القضوي وقوتها الإنجازية الحرفية وهي قوة السؤال بموجب أسلوب الاستفهام المؤشر له بالأداة «هل» والتنغيم. والدلالة الضمنية المتمثلة في التماس المتكلم من المتلقي أن يناوله الملح⁽¹²⁾.

(11) D. Wilson et D. sperber (1979). P 87.

(12) J. Searle (1982) : Sense Et Expression.. Ed. Minuit, Paris .P : 71.

وقد ركز «سورل» في تحليله على دراسة الأفعال الإنجازية غير المباشرة، وأكد أن المشكل الحقيقي الذي يطرحه هذا النوع من أفعال اللغة الطبيعية هو: كيف يمكن للمتكلم أن يقول شيئاً وهو يعني ما يقوله، ولكنه يقصد أشياء أخرى؟ وبالموازاة مع ذلك، كيف يتمكن المخاطب من الوصول إلى اكتشاف هذه المعاني الضمنية؟ وبشكل عام، كيف يتم الانتقال من الأفعال الإنجازية المباشرة إلى الأفعال الإنجازية غير المباشرة؟

يتم الانتقال من الفعل الإنجازي المباشر إلى الفعل الإنجازي غير المباشر - حسب «سورل» - عبر سلسلة من الاستدلالات. ويتحقق التواصل بين المتكلم والمخاطب من خلال الأسس الآتية:

1. المعلومات المشتركة بين المتكلم والمخاطب سواء كانت هذه المعلومات لسانية أم غير لسانية.
2. القدرات العقلية والاستدلالية العامة للمخاطب، واعتماد بعض المبادئ الحوارية⁽¹³⁾.

ويمكن تفسير ذلك من خلال الحوار الآتي:

[6] أ. لنذهب إلى السينما هذه الليلة.

ب. يجب أن أستعد للامتحان.

فالمفوظ (6 ب) ينجز فعلين إنجازيين: أحدهما مباشر وهو الإخبار بأن (ب) عليه أن يهيئ للامتحان، والثاني غير مباشر وهو رفض اقتراح (أ) وهذا المعنى مقامي بامتياز عكس الفعل الأول المباشر الذي تدل عليه صيغة المفوظ ذاتها.

ويتم الوصول إلى اشتقاق المعنى المضمن من المعنى الصريح عبر سلسلة من الخطوات الاستدلالية:

- 1 - الخطوة الأولى: اقترح (أ) على (ب) أن يرافقه إلى السينما، فأجابه (ب) بأن عليه أن يهيئ للامتحان (وقائع الحوار).
- 2 - الخطوة الثانية: يفترض (أ) أن (ب) متعاون في الحوار، وأن جوابه ملائم (مبدأ التعاون).
- 3 - الجواب الملائم لاقتراح (ا) قد يكون قبولا لهذا الاقتراح، أو رفضاً له، أو اقتراحاً مضاداً، أو استمراراً في النقاش... إلخ (نظرية الأفعال اللغوية).
- 4 - لكن المفوظ (ب) لا يعبر، في معناه الحرفي، عن أي شيء من هذا القبيل، وهذا يعني أنه لا يمثل رداً ملائماً. (استنتاج من المرحلتين 1 و2)⁽¹⁴⁾.

(13) Ibid. P : 73.

(14) Ibid. P : 75.

- 5 - الخطوة الخامسة : من المحتمل إذن، أن (ب) يريد أن يقول أكثر مما نطق به. وسيفترض (أ) أن رد (ب) رد ملائم، وأن هدفه الإنجازي الأولي مخالف للهدف الإنجازي الحرفي. (استنتاج من المرحلتين 2 و4). وتعد هذه الخطوة هامة، لأن المخاطب لن يتمكن من إدراك الأفعال اللغوية غير المباشرة ما لم تكن له إستراتيجية استدلالية تمكنه من استنتاج الحالة التي يكون فيها الهدف الإنجازي الأولي مخالفا للهدف الإنجازي الحرفي.
- 6 - الخطوة السادسة : يعرف (أ) أن الاستعداد للامتحان والذهاب إلى السينما يستغرقان وقتا هاما بالنسبة لليلة واحدة. (معلومات قبلية).
- 7 - الخطوة السابعة : من المحتمل إذن، أن (ب) لا يستطيع أن يستعد للامتحان ويرافقني إلى السينما في الوقت نفسه. (استنتاج من الخطوة 6).
- 8 - الخطوة الثامنة : يعرف (أ) أن أحد الشروط التمهيديّة لقبول اقتراح ما هو القدرة على إنجاز الفعل الذي يدل عليه المحتوى القضوي. (نظرية الأفعال اللغوية).
- 9 - الخطوة التاسعة : يتوصل (أ) إذن، إلى أن (ب) قال شيئا يفيد أنه لا يمكنه قبول اقتراحه. (استنتاج من الخطوات 1 و7 و8).
- 10 - الخطوة العاشرة : هدف (ب) الأولي إذن هو رفض اقتراح (أ). (استنتاج من الخطوتين 5 و9)⁽¹⁵⁾.

وقد عقب سورل على هذه الخطوات وأشار إلى أن عدد الخطوات الاستدلالية غير محدد في عشر، بل يمكن أن يقل عن هذا العدد أو يتجاوزه. كما أن النتيجة المتوصل إليها هي مجرد نتيجة احتمالية فقط، لأن المتكلم هنا يمكنه أن يواصل الكلام بناء على المعنى الصريح كأن يقول مثلا :

[7] - يجب أن أهيبُ للامتحان، ومع ذلك لنذهب إلى السينما.

وأضاف «سورل» أن هذه الإستراتيجية الاستدلالية تشتغل كلما كانت هناك أفعال لغوية غير مباشرة ؛ فعن طريق هذه الإستراتيجية يتمكن المخاطب، في البداية، من تبيان الاختلاف الموجود بين الهدف الإنجازي الأولي والهدف الإنجازي الحرفي ثم ينتقل بعد ذلك إلى تحديد الهدف الأولي.

ويتم اعتماد الأفعال اللغوية غير المباشرة عادة في الأغراض التوجيهية (Directifs) ؛ حيث لا يتقبل المخاطب أن تُوجّه إليه الأوامر والنصائح بشكل مباشر وصریح نحو :

[8] أ - أخرج من الغرفة !

ب - أمرك بالخروج من الغرفة.

ولذلك يضطر المتكلم إلى البحث عن طرق غير مباشرة لتحقيق مثل هذه الأغراض بشكل يقوم على اللباقة والتأدب (Politesse).

ومثال ذلك قولنا :

[9] أ - ألا يزعجك أن تغادر الغرفة؟

ب - هل يمكنك أن تغادر الغرفة؟

ج - هل يمكنك أن تغادر الغرفة، من فضلك؟⁽¹⁶⁾.

إن الغرض من التلطف بالمفوضين (9 أ-ب) هو تحقيق فعل إنجازي هو الالتماس، إلا أن هذه القيمة الإنجازية ضمنية وليست صريحة مادام المفوضان غير حاملين في بنيتهما اللغوية لأي مؤشر لساني صريح يدل عليها أي الفعل الإنشائي «ألتمس» نحو :

[10] - ألتمس منك أن تغادر الغرفة.

فهذا المفوض يقدم لنا قيمة إنجازية صريحة للالتماس يدل عليها المؤشر اللساني «ألتمس»، وهذا يختلف عن المفوضين (9 أ-ب) اللذين يدلان على الالتماس بشكل ضمني ؛ حيث إن الغرض من الاستفهام ليس هو السؤال وإنما الالتماس.

كما أن المثال (9 ج) يختلف عن المثالين (9 أ-ب) لكونه يشتمل في بنيته اللسانية على مؤشر اشتقاقي هو العبارة (من فضلك) التي تستعمل غالباً في الالتماس، ودليل ذلك أنه يصعب مواصلة الكلام في المفوض بناء على قوته الإنجازية الحرفية التي هي السؤال. ولذا فإن هذا المفوض يصنف ضمن حالات الاستلزام الحوارية المعمم عند غرايس.

والأمر نفسه يقال في مجال النصيح، فقد ورد عن الإمام ابن حزم في كتابه «الأخلاق والسير في مداواة النفوس» قوله : «إذا نصحت سرا لا جهرا، وتعرض لا تصريح، إلا أن لا يفهم المنصوح تعريضك ؛ فلا بد من التصريح».

أما «أنسكومبر» فيرى -من داخل «نظرية الاشتقاق الإنجازي»- أن اشتقاق فعل الالتماس، كفعل إنجازي ضمني، يقتضي تطبيق قواعد خطابية معينة. ويعود الفضل في تأسيس هذه النظرية إلى «ديكرو» (Oswald Ducrot) داخل إطار نظرية التلطف (La théorie de l'énonciation).

واشترط «ديكرو»، من أجل الوصول إلى المعاني التي تحملها الملفوظات، القيام أولاً بوصف دلالي للجمل أي تحديد دلالاتها. ومعنى هذا أن مسار تأويل ملفوظ ما في تصوره يتم عبر مرحلتين :

المرحلة الأولى : وتبدأ مسارها من الجملة نحو الدلالة بمعزل عن المقام.
المرحلة الثانية : وتبدأ مسارها من الدلالة إلى المعنى بمساعدة المقام.

وهذا ما جعله يميز بين مكونين هما : المكون اللساني (Le composant linguistique) مهمته تقديم وصف دلالي للجمل خارج المقام. والمكون البلاغي (Le composant rhétorique) الذي يعد دور المقام داخله حاسماً في تغيير الدلالة التي يقدمها المكون اللساني⁽¹⁷⁾.

وقد تم تطوير هذه النظرية من قبل «أنسكومبر» الذي يرى أن وجود مؤشر لساني في الملفوظ يسمح بتحقيق فعل المجازي غير مباشر. ويشير ذلك إلى وجود قاعدة خطابية قد تم تطبيقها.

ومثال ذلك تحقيق الطلب عن طريق الاستفهام عن الاستطاعة :

[11] - هل تستطيع خفض صوت المدياع ؟

فالخطاب سيفهم هذا الملفوظ على أنه طلب أو التماس من قبل المتكلم وليس مجرد سؤال. ويتم هذا الانتقال عن طريق تطبيق قاعدة خطابية على الشكل الآتي :

• «إذا استفهم المتكلم (أ) المخاطب (ب) عن استطاعته فعل الشيء (ج) وكان (ج) في صالح (أ)، فإن (أ) يلتمس بشكل ضمني من (ب) فعل (ج)».

ويمكن تطبيق القواعد الخطابية أيضاً مع غياب هذا المؤشر اللساني ؛ إذ يعد كل فعل إنشائي (Le verbe performatif) بمثابة مؤشر اشتقائي (Marqueur de dérivation) وبالتالي سيكون دليلاً على وجود قاعدة خطابية قد تم تطبيقها. ومثال ذلك أن يتم تحقيق الالتماس عن طريق الإخبار.

لنفترض المقام التالي : يقول زبون لنادل في مطعم :

[12] - طعامي ينقصه الملح.

فالزبون، في هذا الملفوظ، يلتمس من النادل أن يناوله الملح. وقد تحقق الالتماس كفعل إنشائي مشتق انطلاقاً من الخبر (التقرير) بمساعدة المقام، وتطبيق قاعدة خطابية على الشكل الآتي :

«إذا أخبر المتكلم (أد) المخاطب (ب) بواقع الأشياء (ج)، وكان (ج) غير مرغوب فيه من قبل (أ)، فإن (أ) يلتبس بشكل ضمني من (ب) أن يزيل (ج)». ويمكن صياغة هذه القاعدة كما يأتي :

«تعد كل إشارة إلى نقص التماسا لإزالتها»⁽¹⁸⁾.

خاتمة :

شكل المعنى سؤالاً محيراً شغل تفكير الفلاسفة والمناطقه واللسانيين. ومن بين القضايا التي ارتبطت بالمعنى : القصد، والاستدلال، والمعاني الضمنية...

وبخصوص المعاني الضمنية - موضوع البحث - فقد أكدت النظريات التي اهتمت بدراسة المعاني الضمنية على أهمية المبادئ الحوارية، والضوابط، والقواعد، والقيود في حل إشكالية التضمنين في الاستعمال اللغوي.

(18) J. Moeshler (1985) : Argumentation et conversation, éléments pour une analyse pragmatique du discours. HATIER-CEDF. P : 42.

المصادر والمراجع

باللغة العربية :

- 1- جورج لايكوف ومارك جونسن : الاستعارات التي نحياها. ترجمة. عبد المجيد جحفة. (1996) ط 1. دار توبقال.
- 2- حسن بدوح (2012) : المحاورة مقارنة تداولية. ط 1، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن.
- 3- محمد زايد، حسن بدوح، عبد العزيز الملوكي (2012) : مقالات في اللغة والنقد الأدبي قضايا في التركيب. ج 3. ط 1. مطبعة سجلماسة، الزيتون، مكناس.

باللغة الفرنسية :

- 1- Ahmed Moutaoukil (1982) : Réflexions sur la théorie de la signification dans la pensée linguistique arabe. Publication de la faculté des lettres de Rebat.
- 2- C.K Orecchioni (1986) : L'implicite. Armand coolin.
- 3- D. Wilson et D. sperber (1979) : Remarques sur l'interprétation des énoncés selon Paul Grice. In communication N° 30.
- 4- Francois Flahault (1979) : le fonctionnement de la parole. Remarques a partir des marimes de Grice. In communication N° 30.
- 5- J. L Austin : Quand dire, c'est faire. Traduction et introduction de Gilles lane. (1970). Editions de seuil. Paris.
- 6- J. Moeshler (1985) Argumentation et conversation, éléments pour une analyse pragmatique du discours. HATIER-CEDF.
- 7- J. Moeschler (1999) : Linguistique et pragmatique cognitive. L'exemple de la référence temporelle. Le Gré des Langues 15.
- 8- J. Moeschler et Ann Reboul : Dictionnaire encyclopédique de la pragmatique. Ed de seuil.
- 9- J. Searle (1982) : Sense Et Expression. Ed. Minuit ,Paris.
- 10- H. Paul Grice (1979) : logique et conversation (in communications N° 30)
- 11- Oswald Ducrot (1984) : Le dire le dit. Ed de Minuit, Paris.